منهج المتأخّرين من المفسّرين في تفسيرِ القرآنِ بالسُّنَّةِ النَّبويَّةِ: الشَّيخ رشيد الخطيب الـمَوْصِليّ أنموذجًا

(PP 420 - 434)

https://doi.org/10.21271/zjhs.23.s4.28

محمّد إبراهيم فاضل المشهدانيّ

كلّيّة الإمام الأعظم الجامعة في الموصل

mhmd7272@gmail.com

Supplementary Vol.23, No.4, 2019

The Texts and Heritage:
"Readings and Reviews"

ملخَّص

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خاتَم الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومن دعا بدعوتِهِ إلى يوم الدّين.

أمّا بعدُ: فإنّ كتابَ الله تعالى القرآنَ الكريم حريٌّ بكلِّ عناية، وجديرٌ بكلِّ اهتمامٍ ورعاية، ومن ذلك خدمتُه بتجلية معانيه، والكشف عن أسرار تراكيبِه ومبانيه، ولمرَ لا وهو كلام الملك الجبّار؟! وإليه يُرجَعُ بكلِّ اعتبار، ومن ذلك تفسيرُهُ بسنّة النبيّ ρ، وتجلية هداياته بأقوال سلَف الأمّة في القرون المفضّلة.

وقد حبانا الله تعالى -بمنّه وكرمه- في هذه العصور المتأخّرة بعلماء أفذاذ لا يشقُّ لهم غبار، أفنوا أعمارَهم في ممارسة العلم تعلّمًا وتعليمًا، ومذاكرةً وتأليفًا وتفهيمًا، فلحقوا بركب سلفِهم من علمائنا السّابقين الربّانيّين، وحازوا قصب السبق في كلّ الميادين، فجزاهم الله عنّا وعن المسلمين خيرَ الجزاء، وأعظمرَ لهم المثوبةَ والعطاء، ومنهم شيخ شيوخنا **الشّيخ العلّامة رشيد الخطيب الموصليّ** الذي ملأ صيتُه الآفاق، وعمَّتْ مؤلّفاته الطّباق، فرحمه الله رحمةً تامّة، وأسكنه فسيح جنّاته يومرَ القيامة العامّة.

وأردتُ بهذا البحث أن ألفتَ النّظر إلى تفسير هذا الشّيخ الجليل، إذ لا يعرفُه في الوقتِ الحاضر من أهل العلم إلّا النّزر القليل، وكان الكلام فيه -من بعد الملخّص- في مقدّمةٍ وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمة:

التّمهيد ترجمة الشّيخ الخطيب: تناولت فيه ترجمة الشّيخ الخطيب في سبع نقاط.

وجاء المبحث الأوّل في ثلاثة مطالب: في بيان تعريفاتٍ مهمَّة، وذكر أهميّة تفسير القرآن بالسّنَّة، والمقدار الذي فسَّره النبيّ ρ من آياتِ القرآن الكريم.

وجاء المبحث الثّاني في ثلاثة مطالب أيضًا: في بيان أنواع تفسير القرآن بالسنَّة عند الشّيخ الخطيب من ثلاث جهاتٍ، كلّ جهةٍ في مطلب: من حيث الجهةُ التي صدرَ عنها، ومن حيثُ أنواع التّفسير وأنماطه وأشكاله، ومن حيث قائلُه ومن نسبَ إليه.

وأمّا الخاتمة: فهي خلاصة بأهمّ ما تحقّق في هذا البحث:

وأخيراً.. أسألُ اللهَ تعالى التّوفيقَ والسّداد، والسيرَ على هَدي خير العباد ρ، والحمد لله ربِّ العباد.

مفتاح البحث: تفسير القرآن، السنّة، أنواع السنّة، الشّيخ الخطيب.

1- الـمُقَدَّمة:

لحمدُ لله الذي علّمَ بالقلم، علّمَ الإنسانَ ما لم يعلَم، والصَّلاة والسّلام على النبيّ المعلِّم، الذي أوتيَ جوامعَ الكلم، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ذوي الفضل والشّيَم، ومن تبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين الأعمّ.

أمّا بعدُ: فإنّ إيضاحَ القرآن وتفسيرَه من أعظم القربات، الموصِل في الجنّة بإذن الله تعالى إلى أعلى الدّرجات، ولا يخفى أنّ تفسير القرآن الكريم -وهو كلام الرّحمن الرّحيم- ينبغي أن يُعتَنى به أجلَّ عناية، ليترقّى المسلمُ من خلاله في أعلى درجات الهداية، فيفوزَ بالجنّة أسمى كلِّ غاية.

أهمّيّة البحث وأهدافه:

لا يخفى: أنّ أفضلَ طرق التّفسير، لكلام الملك العليم: هو تفسير القرآن بالقرآن العظيم، أو بسنّة النبيّ المصطفى الكريم، وهذا النّوع من التّفسير المنقول عن النبي ρ هو الطراز المعلَم، ويجب الاعتماد في هذا النوع على الأحاديث الصِّحاح والحِسان، وتجنُّب الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فقد اختُلِقَ على النبيّ ρ في تفسير القرآن كما اختُلِقَ عليه في غيره، (أبو شهبة، 1403هـ، ص46).

ومن المعلوم: أنّ الكتبَ المصنَّفةَ في التّفسير مشحونةٌ بالغثّ والسّمين، والباطل الواضح والحقّ المبين، والعلمُ إمّا نقلٌ مصدَّقٌ عن معصوم، وإمّا قولٌ عليه دليلٌ معلوم، وما سوى هذا فإمّا مزيفٌ مردود، وإمّا موقوفٌ لا يعْلَمُ أنّه بهرجٌ ولا منقود، وحاجةُ الأمَّةِ ماسّةٌ إلى فهمِ القرآن الذي هو حبلُ الله المتين، والذكر الحكيم والصّراط المستقيم، (ابن تيميّة، مجموع الفتاوى، 1416، 13/ 329، 330).

ولذا شمَّر علماؤنا الأفذاذ في القديم والحديث عن ساعد الجدّ في تفسير القرآن الكريم وبيان هداياته، وفي قراءته قراءةً فاحصةً بتدبُّر آياته، **ومن أولئكم العلماء الأفذاذ شيخ مشايخنا العالم العلّامة المفسّر الفهّامة الشَّيخ رشيد الخطيب الموصليّ**، رحمه الله رحمةً عامّة، وجعله مع النّبيين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

وقد جاء هذا المؤتمر العلميّ من لدن مركز الإمام الزهاويّ مع كليّة العلوم الإسلامية بجامعة صلاح الدين ليؤكّدَ الصلة القويّة بين ضرورة احترام النّصوص من جهة والتّفاعل الإيجابيّ مع مستجدّات الحياة المتسارعة من جهةٍ أخرى، بل جاء ليبعثَ في النّفوس أهميّة الحفاظ على موروثنا وتراثنا الفذّ الذي خُصصنا به دون سائر الأمم، وبين تجديد الفهم لذلكم الموروث بما ينسجم وروح هذا العصر الذي شهد تطورا واسعا في كافة المجالات.

وتبرزُ أهميَّة هذا البحث في كونِه اشتملَ على إبراز منهج هذا العلَم الفذّ في تفسير القرآن العظيم، بسنّة النبيّ الكريم ρ، وخاصّةً بعدَ أن شاعَ لدى طلبة العلم غلبةُ الجانب العقليّ على هذا التّفسير، والبعدُ عن المأثور والمنقول وما سوى ذلك من ادّعاءٍ خطير.

إشكاليَّة البحث وسبب الاختيار:

أردتُ ببحثي هذا أن أميطَ اللثام عن هذا الجانب الهامّ الكبير، وأن أكشفَ عناية شيخ شيوخنا الشّيخ رشيد الخطيب بالسنّة بكافّة أنواعها في التّفسير والترّجيح والتّحرير على الرّغم من تأثره الكبير الواضح بمدرسة الإصلاح في مصر، وخاصة الشيخين محمّد عبده، ورشيد رضا.

وذلك لئلّا يهمِ واهمٌ جاهل، أو يُخطئ ساهٍ عاطل، فيظنّ أن تفسير الشّيخ الخطيب خلوٌ من التّفسير بالمأثور على العموم، أو ليس له اهتمامٌ بسنّة النبيّ ρ المعصوم، وأقوال الصّحابة ψ أولي النّهى وأرباب الفهوم.

وقد تركَ لنا الشيخ الخطيب من بعده مؤلّفاتٍ قيّمة، وكتبًا مهمَّة، لعلّ من أهمّها هذا التّفسير الأصيل: **تفسير القرآن العظيم المسمّى أولى ما قيل في آيات التّنزيل**.

منهج البحث وخُطَّته:

جاء هذا البحث من بعد هذه المقدَّمة في تمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمة:

التّمهيد: ترجمة الشّيخ الخطيب: تناولتُ فيه ترجمة الشيخ الخطيب في سبع نقاط.

وجاء المبحث الأوّل في ثلاثة مطالب: في بيان تعريفاتٍ مهمَّة، وذكر أهميّة تفسير القرآن بالسّنَّة، والمقدار الذي فسَّره النبيّ ρ من آياتِ القرآن الكريم.

وجاء المبحث الثّاني في ثلاثة مطالب أيضًا: في بيان أنواع تفسير القرآن بالسنَّة عند الشّيخ الخطيب من ثلاث جهاتٍ، كلّ جهةٍ في مطلب: من حيث الجهةُ التي صدرَ عنها، ومن حيثُ أنواع التّفسير وأنماطه وأشكاله، ومن حيث قائلُه ومن نسبَ إليه.

وأمّا الخاتمة: فهي خلاصة بأهمّ ما تحقّق في هذا البحث:

وأخيراً.. أسألُ اللهَ تعالى أن يجزيَ القائمين على هذا المؤتمر خير الجزاء، وأن يرزقهم عيش السعداء، وأن يدخلَهم في جنّاته دار الأنبياء عليهم السّلام، آمين.

وصلّى اللهُ وسلّم على النبيّ المفضال ρ، وعلى جميع الصَّحب والآل، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين والمآل.

2- تـمهيد: ترجمة الشّيخ العلّامة الخطيب:

يجدرُ بنا أن نذكر ترجمةً ولو يسيرة مقتضبة في هذا التّمهيد عن شيخ مشايخنا العلّامة الشّيخ رشيد الخطيب قبل الخوض في غمار هذا البحث، وقد كُتب عنه ترجمة في كتب كثيرة، بيدَ أنيّ اقتصرتُ على تلخيصِ أبرزها، (حماش، 1435هـ، ص 13، وما بعدها، ومكيّ، مقدّمة تفسير القرآن العظيم، 1435هـ، 1/ 13)، وهي على النّحو الآتي:

أوّلًا: اسـمُه ونسبُه ولقبُه:

هو رشيد بن صالح بن طه بن صالح بن محمود بن مراد، هذا ما اتّفق عليه المترجمون للشّيخ.

ويلقّبُ بالخطيب، نسبةً إلى جدّه الحاجّ طه الخطيب.

ويلقّبُ الشّيخ كذلك بالطّائيّ، نسبةً إلى قبيلة طيء المشهورة.

ويلقّبُ أيضًا بالموصليّ، نسبةً إلى مدينتنا الحبيبة الموصل الحدباء، إذ ولد الشّيخُ بها، ونشأ في ربوعها، ومات فيها، رحمه الله رحمةً واسعة.

ثانيًا: أسـرتُــه:

نشأ الشيخ الخطيب في أسرةٍ علميَّة، فأبوه هو الشّيخ العلّامة صالح الخطيب الموصليّ، وجدُّه هو الحاجّ طه الخطيب المشهور، ولذا شُغف الشيخ بالعلوم الشرعيّة، فبادرَ إلى تحصيلها منذ نعومة أظفاره.

ثالثًا: ولادتُــه:

ولد الشيخ الخطيب ليلةَ الجمعة آخر شهر جمادى الأولى من سنة:(1303) للهجرة، وهو يوافق شهر شباط:(1886) للميلاد، (محوّل التاريخ الإسلاميّ).

رابعًا: شُيوخُه:

أخذ الشّيخ الخطيب علومَه المختلفة عن علماء عصره، ولكنّه أكثرَ من ملازمة علَمين بارزين، وهما:

1. الشّيخ محمَّد بن عُثمان الرّضوانيّ:(ولد: 1269ه-وتوفي: 1358ه).

أخذ علومَه عن مشايخ كثيرين، ومنهم: الشيخ العلّامة صالح الخطيب والد الشّيخ رشيد، وأخذَ عنه علماء أجلّاء، من أبرزهم: الشّيخ رشيد الخطيب، وأخوه سعد الدّين، فقد أخذا عنه سائر العلوم، وأجازهما سنة 1331ه، وقال لهما عند الإجازة:(هذه بضاعتكما ردّتْ إليكما).

2. الشيخ أمجد بك العُمريّ:(ت1372ه).

أخذَ علومَه المختلفة عن علماء عصره، وأخذَ عنه الشّيخ رشيد الخطيب مبادئ الحساب والجبر والهندسة والفلَك.

خامسًا: تلامذتُه:

أخذ عن الشّيخ الخطيب العلوم المختلفة كثير من أهل العلم، وإليك ذكرَ أبرزهم:

1. الشّيخ إسماعيل مصطفى الكتبيّ:(ولد: 1320ه-وتوفي: 1386ه).
2. شيخُنا العلّامة الشيخ ذنّون يونس البدرانيّ الموصليّ:(ولد: 1353ه-وتوفي: 1416ه).
3. الشّيخ ذنون يونُس الغزال:(ولد: 1353ه-وتوفي نحو: 1430ه).
4. شيخُنا الشيخ إبراهيم النّعمة:(ولد: 1361ه).

سادسًا: مؤلّفاتُه:

ترك الشّيخ الخطيب من بعده مؤلّفاتٍ مفيدة، وكتبًا عزيزةً فريدة، في علومٍ مختلفة شهيرة، وفنون كثيرة، وإليك ذكرَ أبرزها على حسب العلوم:

الأوّل: في التّفسير:

1. تفسير القرآن العظيم المسمّى: أولى ما قيل في آيات التّنزيل.
2. تفسير آياتٍ من سورة الإسراء.
3. مبسّط لعددٍ من السّور.

الثاني: في الـحديث:

1. مُختارات الصّحاح من الكتب السّتة.
2. المنتخَب من الأحاديث النّبويَّة.

الثّالث: في العقائد والكلام:

1. إثباتُ الوحي بطريق العقل وعلوم العصر.
2. رسالة في آداب البحث والمناظرة.
3. رسالة فرائد القلائد.

سابعًا: وفاتُــه:

بعد عمُر قاربَ المائة بالدّرسِ والبحثِ والإفادة والتّعليم توفيّ شيخ مشايخنا العالم المفسّر العلّامة الشّيخ رشيد الخطيب الموصليّ في 30/ من شهر محرَّم/ من سنة 1400 للهجرة، وهو يوافق يوم الخميس 20/ كانون الأوّل/ 1979م، (محوّل التاريخ الإسلاميّ).

3- 1: تفسير القرآن بالسّنَّة أهمّيَّتُه ومقداره: وهو يشتملُ على مطالب:

2-3: تعريفات مهمَّة:

تعريفُ منهج تفسير القرآن بالسنّة لغةً واصطلاحًا:

مصطلح:(**منهج تفسير القرآن بالسنَّة**) مركَّبٌ من أجزاء مفردة، وهي:(منهج)، و(تفسير)، و(القرآن)، و(السنّة):

تعريف المنهج لغة: أخذ من مادّة:(نهج)، وهي أصلانِ مُتَبَايِنَانِ: **الأَوَّلُ:** النَّهْجُ، الطَّرِيقُ، ونَهَجَ لِي الأمرَ: أوضَحَه، وَهُوَ مُسْتَقِيمُ المِنهَاجِ، وَالمنهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ. **وَالْآخَرُ:** الِانْقِطَاعُ، (القزوينيّ، 1399ه، 5/ 361).

وتعريف المنهج اصطلاحًا: خُطَّة منظّمة لعدَّة عمليّات ذهنيَّة أو حسيَّة بُغيةَ الوصول إلى كشف حقيقةٍ أو البرهنة عليها، (عمر، 1429هـ، 3/ 2291).

و**تعريف المتأخرين لغة:** جمع:(متأخّر)، وهو مأخوذٌ من:(أخَرَ)، وهو أصلٌ واحِدٌ إِلَيه تَرجِعُ فرُوعُه، وهو خلافُ التَّقَدُّمِ، (القزوينيّ، 1399ه، 1/ 70).

وتعريف المتأخرين اصطلاحًا: خلاف المتقدّمين من المفسّرين.

وتعريف التّفسير لغةً: أخذ من مادّة:(فَسَر)، وهي كلمةٌ واحدة تدلُّ على **بيانِ شيءٍ وإيضاحه**، ومن ذلك الفَسر، يقال: فَسَرتُ الشيءَ وفَسَّرتُه، (القزوينيّ، 1399ه، 4/ 504).

وتعريف التّفسير اصطلاحًا: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة، (الجرجانيّ، 1403هـ، ص63).

وتعريف القرآن لغةً: أخذ من مادّة:(قرأ)، وهي أصلٌ صحيح يدلُّ على **جمعٍ واجتماع**، من ذلك: القرية، سمِّيتْ قريةً لاجتماع النّاس فيها، ومنه:(القُرْآن)، كأنّه سمِّيَ بذلك لجمعِه ما فيه من الأحكامِ والقصص وغير ذلك، (القزوينيّ، 1399ه، 5/ 78، 79).

وتعريف القرآن اصطلاحًا: كلام الله تعالى المنزَّل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ρ، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة النّاس، (العثيمين، 1422هـ، ص6).

وتعريف السنّة لغةً: أخذ معناها من مادّة:(سنَّ)، وهي أصلٌ واحد مطَّرِد، وهو **جريانُ الشيءِ واطِّرادُه في سهولةٍ**، والأصل قولهم:(سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أسنُّه سنًّا): إذا أرسلتَه إرسالًا، (القزوينيّ، 1399ه، 3/ 60).

وتعريف السنّة اصطلاحًا: هي كلُّ ما أثر عن النبيّ ρ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة-كتحنُّثه في غار حراء- أم بعدها، والسنَّة بهذا مرادفة للحديث النبويّ، (باجمعان، لا.ت، ص8).

وبهذا نستطيع أن نعرّفَ منهجَ تفسير القرآن بالسنّة اصطلاحًا بأنّه: خطَّةٌ منظَّمة لعدّة عمليَّاتٍ ذهنيَّة أو حسّيَّة بغيةَ الوصول إلى إيضاحُ ألفاظِ القرآن، وبيانُ معانيه بما ثبتَ عن النَّبيّ ρ في الحديث الشّريف من أقوالِه وأفعالِه وتقريراتِه وصفاتِه.

3/3 : أهميَّة تفسير القرآن بالسنَّة:

لا يخفى على أحدٍ من أهل العلم ما للسنَّة النبويَّة المطهَّرة من أهميّة بالغة في فهم كلام الله تعالى القرآن الكريم وتجلية معانيه، وكشف هداياته، وإظهار أحكامه، إذ المفسّر إن لم يجدْ تفسيراً للقرآن في القرآن، فليبحثْ عمّا ثبتَ وصحَّ في السُّنَّة، فإنَّها شارحةٌ للقرآن، ومبيِّنة له، قال الله تعالى:[وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النَّحل:44]، وقال سبحانه:[وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ][النّحل:64].

قال السّمعانيّ:(قد كانَ الرَّسُول ρ مُبينًا للوحي، وقد قالَ أهل العلم: إنَّ بَيان الكتاب في السّنة)، (1418هـ، 3/ 174).

وفي سنن أبي داود عن المقدامِ بن معدي كرب τ، عن رسول الله ρ أنه قال:« ألا إنيّ أوتيتُ الكتابَ، ومثلَه معه، ألا يوشكُ رجلٌ شبعانُ على أريكتِه يقولُ: عليــكم بهذا القرآنِ، فما وجدتُّم فيه من حـــــلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتُّم فيه من حرامٍ فحرِّموه»، (لا.ت، 200/4).

قال ابنُ قتيبة في إيضاح معنى الحديث:" يريدُ أنّه ρ أوتيَ الكتابَ ومثلَ الكتاب من السنَّة، ولذلك قال الله عزّ وجلّ:[وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] [الحَشر:7]، وقد علم اللهُ عزّ وجلّ أنّا نقبلُ منه ما بلَّغنا عنه من كلام الله تعالى"، (1419هـ، ص282).

فالوحيُ الّذي تنـزَّلَ على الرَّسُول ρ لم يقْتَصر على النَّصّ المعجزِ المتعبَّد بتلاوته -أي: القرآن – بل شَمل كذلك مَا رُوِيَ عَن الرَّسولِ ρ في السّنة من قولٍ أو عملٍ أو تقريرٍ أو صفة، كما تقدَّم آنفًا.

فعن أبي نضرة قال: كنّا عند عمرانَ بنِ حُصين τ قال: فجَعلَ يحدِّثنا قال: فقال رجلٌ: حدِّثنا عن كتابِ الله!! قال: فغضبَ عمران، فقال:« إنكَ أحمقُ، ذكرَ اللهُ الزّكاةَ في كتابه، فأين من المائتينِ خمسة؟ ذكرَ اللهُ الصّلاةَ في كتابه، فأين الظّهرُ أربعًا؟ حتى ذكر الصّلواتِ، ذكرَ اللهُ الطَّوافَ في كتابه، فأين الطَّوافُ بالبيتِ سبعًا؟ وبالصَّفا والمروة سبعا؟»، إنا نُحْكِمُ ما هناكَ، وتفسّرُه السنّة»، (ابن المبارك، لا.ت، 2/ 23).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميّة:" إنّ اللهَ سبحانه وتعالى أنزلَ على نبيِّه ρ الكتابَ والحِكمة، وأمرَ أزواج نبيِّه أن يذكرْنَ ما يُتلى في بيوتهم من آيات الله والحكمة، وامتنَّ على المؤمنين بأن بعثَ فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمة، وقال النبيّ ρ:« ألا وإنّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه»، وفي رواية:« ألا إنّه مثلُ القرآن أو أكثر»، فالحكمةُ التي أنزلها اللهُ تعالى عليه معَ القرآن، وعلَّمها لأمَّته، تتناولُ ما تكلَّمَ به في الدِّين من غير القرآنِ من أنواع الخبر والأمر، فخبرُه موافقٌ لخبر الله، وأمرُه موافقٌ لأمر الله، فكما أنّه يأمرُ بما في الكتاب أو بما هو تفسيرُ ما في الكتاب، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب، فهو أيضًا يخبرُ بما في الكتاب وبما هو تفسيرُ ما في الكتاب، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب"، (درء تعارض العقل والنقل، 1411هـ، 2/ 147).

ولذا أمر اللهُ تعالى في محكم كتابه الكريم بطاعة الرّسول ρ مقرونةً بطاعة الله تعالى، بل اعتبرَ سبحانه طاعة الرّسول ρ طاعةً له سبحانه، وعدَّ اتّباعَه ρ دليلًا على محبّة الله تعالى، فقال سبحانه:[وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ][آل عمران:132]، وقال:[مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا][النساء:80]، وقال:[قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ][آل عمران:31].

وتفسير القرآن بالسنّة ما هو إلّا لون من ألوان التّفسير بالمأثور، قال الأستاذ الدكتور محمّد الذهبيُّ:" إنّ التّفسيرَ المأثور يشملُ ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسُّنَّة، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقوف على الصّحابة أو المرويّ عن التّابعين، أمّا تفسير القرآن بالقرآن أو بما ثبت من السُّنَّة الصحيحة، فذلكَ ممّا لا خلافَ في قَبولِه، لأنّه لا يتطرَّقُ إليه الضَّعفُ، ولا يجدُ الشكُّ إليه سبيلًا"، (لا.ت، 1/ 114).

ورغمَ أهميَّةُ التّفسيرِ بالمأثور لدى كلّ أحدٍ، ولكنّ قسمًا من موارده ضعفَ للغاية، لأسبابٍ حصرَها المحقّقون في أُمورٍ ثلاثة:

أولها: كثرةُ الوضعِ في كتب التّفسير.

ثانيها: دخولُ الإسرائيليّاتِ فيه.

ثالثُها: حذفُ الأسانيد، (الذهبيّ، لا.ت، 1/ 115).

ومن المناسب هنا أن نبيّن أنّ السّنن عن النبيّ ρ تنقسمُ على ثلاثةِ أقسام عند أهل العلم: القسم الأوّل: سنّةٌ أتاهُ بها جبريل عليه السّلام عن الله تعالى ابتداءً:

كما ثبتَ في صحيح البخاريّ عن جابر τ، قالَ:« نَهَى رسولُ اللّهِ ρ أَنْ تُنْكَحَ المَرْأَةُ على عَمَّتِها أَوْ خَالَتِها»، (1422هـ، 7/ 12)، وهذا حكمٌ زائدٌ على القرآن في تحريمُ الجمعِ بين الأختين المذكور في تعداد المحرّمات بقوله:[وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ][النّساء:23]، (الجصّاص، 1405هـ، 3/ 79).

القسم الثّاني: سنةٌ أباحَ اللهُ له أن يسنَّها، وأمرَه باستعمال رأيِه فيها:

ومعنى ذلك: أنّ النبيَّ ρ له أن يترخَّصَ فيها لمن شاء، على حسب العلّة والعذر، وذلك كتحريمِه ρ الحريرَ على الرّجال، وإذنه لبعض الصّحابة ψ فيه، لعلّةٍ كانتْ به، وهذا فيه تخصيص العامّ.

فقد ثبت في صحيح البخاريّ عن حُذيفةَ τ، وذكَرَ النَّبيَّ ρ قَالَ:« لا تَشْرَبُوا في آنيةِ الذَّهبِ والفضَّةِ، ولا تلْبَسُوا الحريرَ والدِّيباجَ، فإنَّها لَهُمْ في الدُّنْيا ولكُمْ في الآخِرَةِ»، (1422هـ، 7/ 113)، وفي صحيح البخاريّ أيضًا عن أنس τ حَدَّثَهُمْ:« أَنَّ النَّبِيَّ ρ رَخَّصَ لِعبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عوفٍ، والزُّبيرِ في قميصٍ من حريرٍ، من حِكَّةٍ كانتْ بِهِمَا»، (1422هـ، 7/ 113).

القسم الثالث: ما سنَّه النبيّ ρ لنا تأديبًا:

ومعنى ذلك: أنّ في هذا الأمر سعةً للأمّة فإنْ نحن فعلناه، كانتِ الفضيلةُ في ذلك، وإن نحن تركناه، فلا جناحَ علينا إن شاء الله، وذلك كنهيِه ρ عن كسب الحجّام، ففي سنن أبي داود عن رافع بن خديج τ، أنّ رسول الله ρ قال:« كسبُ الحجَّامِ خبيثٌ، وثمنُ الكلبِ خبيثٌ، ومهرُ البغيِ خبيثٌ»، (لا.ت، 3/ 266).

وهذه السنّة الثّابتة عن النبيّ ρ فيها تأديبٌ لعموم الأمّة في طلب معالي الأمور، (الدينوريّ، 1419هـ، ص283).

المطلب الثالث: المقدار الذي فسَّره النبيّ ρ من القرآن الكريم:

حريٌّ بنا أن نوضحَ ههنا المقدارَ الذي فسّره النبيّ ρ من القرآن الكريم، وقد روى أبو جعفر الطّبريّ بسنده عن عبد الله بن عبّاس τ قال:« التّفسير على أربعة أوجهٍ: وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسيرٌ لا يعذَر أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يعلمُه العلماءُ، وتفسيرٌ لا يعلمُه إلَّا اللهُ»، (1422ه، 1/ 70).

ولم يفسّرِ الرَّسولُ ρ لأصحابِه ψ من القرآن ما يرجع فهمُه إلى معرفةِ كلام العرب، لأنّ القرآنَ نزلَ بلغتهم، ولم يفسّرِ لهم ما تتبادرُ الأفهامُ إلى معرفته وهو الذي لا يعذَرُ أحدٌ بجهله، لأنّه لا يخفى على أحدٍ، ولم يفسّر لهم ما استأثر اللهُ بعلمه كقيام السّاعة.

وإنّما فسَّر لهم الرسولُ ρ بعضَ المغيَّبات التي أخفاها اللهُ عنهم، وفسَّرَ لهم كثيراً مما يندرجُ تحتَ القسم الثالث وهو ما يعلمُه العلماءُ، ويرجعُ إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العامّ، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك ممّا خفيَ معناه، والتبسَ به المرادُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" يجبُ أن يُعْلَم أنّ النبيَّ ρ بيَّن لأصحابه معانيَ القرآن كما بيَّن لهم ألفاظَه، فقوله تعالى:[وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ][النَّحل:44] يتناولُ هذا وهذا"، (مجموع الفتاوى، 1416هـ، 13/ 331)، أي: يتناولُ بيانَ معاني الألفاظ، كما يتناولُ بيانَ الألفاظِ نفسِها.

ولكنْ لا يُفهَمُ من كلام شيخ الإسلام ابن تيميّة أنّ النبيّ ρ قد بيَّن كلَّ معاني القرآن كما فهم الدكتور الذهبيّ، (لا.ت، 1/ 39)، وحمّاش من بعدِه، (1435هـ، مقدمة التفسير ص130)، بل فسَّر لهم ما احتاجوا إلى كشف معناه من كلام الله تعالى، أو أزالَ عنهم غموضًا أو لبسًا في القرآن الكريم.

وأخرج البيهقيّ في الشعَب عن عبد الله بن مسعود τ، قال:« كنّا إذا تعلَّمنا من النبيِّ ρ عَشرَ آياتٍ من القرآن، لم نتعلَّمْ من العَشرِ الذي نزلتْ بعدَها حتّى نعلمَ ما فيه»، قيل لشريك -الرّاوي-: من العمَلِ؟ قال:« نعَم»، (1423هـ، 3/ 344).

ولهذا كانوا يبقون مدّةً في حفظ السّورة الواحدة من القرآن الكريم، فقد أخرج أحمد عن أنس τ:« أنَّ رجلًا كان يكتبُ للنبيِّ ρ، وقد كانَ قرأ: البقرةَ، وآل عمران، وكان الرَّجلُ إذا قرأ: البقرةَ، وآلَ عمران، جدَّ فينا-يعني: عَظُم-»، (1421ه، 19/ 274).

وروى الإمام مالك في الموطّأ أنّه بلغه:« أنّ عبد الله بن عمَر τ مكثَ على سورة البقرة ثمان سنين يتعلّمُها»، (1425هـ، 2/ 287).

ولكنّ الصّحابة ψ لم يكونوا بحاجةٍ إلى أن يَسألوا رسولَ الله ρ عن كلِّ آيةٍ أو عن كلِّ كلمةٍ في القرآن الكريم، فهم أهلُ العربيّة وفرسان البلاغة والفصاحة فيها، مع صحبتِهم للنبيّ ρ في حلّه وترحالِه وجميع حالاته، واطّلاعهم على دقائق الشّريعة الإسلاميّة.

ولذا فقد فسَّر النبيُّ ρ للصّحابة ψ من القرآن ما احتاجوا إلى بيانه، وأمّا الحديث الذي رواه ابن جرير الطبريّ بسنده - عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها:« أنَّ النبيَّ ρ كان لا يفسِّرُ شيئًا من القرآن برأيِه إلا آيًا بعددٍ، علَّمهنَّ إيَّاه جبريلُ»- فقد ردّه الإمام الطبريُّ نفسُه حيثُ يقول:" هذا مع ما في الخبر، الذي رويَ عن عائشة رضي الله عنها، من العلّة التي في إسناده، التي لا يجوزُ معها الاحتجاجُ به لأحدٍ ممّن علمَ صحيحَ سند الآثار وفاسدَها في الدِّين، لأنَّ راويَه ممَّن لا يُعرفُ في أهلِ الآثار"، (1422هـ، 1/ 83).

وبذلك نعلم: أنّ النبيّ ρ قد فسّر للصّحابة ψ ما احتاجوا إلى معرفته كما سلف، وهو بعض القرآن، وهذا ما قطع به الشّيخ الخطيب في تفسيره محتجًّا بحديثٍ ضعيف أخرجه البزّار في مسنده، فقال:(عن عائشة رضي اللهُ عنها أنّها قالت:« لم يكن النبيُّ ρ يفسِّر شيئًا من القرآنِ إلا آياتٍ تعدّ، علمهنّ إياه جبريل υ»، (1988م، 18/ 123)، ثمّ قال الشّيخ:" وما ذلك إلّا لإطلاقِ العقول وإفساح المجال في فهم ما يتضمّنه هذا القرآن العظيم، الذي قال فيه تعالى:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)[القمر:17]"، (1435هـ، 1/ 492).

1-4 : أنواع تفسير القرآن الكريم بالسنّة النّبويّة عند الشّيخ الخطيب:

من المعلوم: أنّ إيضاح معاني القرآن الكريم من أهمِّ وظائف النبيّ ρ وأعظم مهمّاته التي كلّفه اللهُ تعالى بحملِها، وذلك من بدءِ نزول القرآن الكريم على قلبِه ρ، لأنّ الله تعالى هو الذي أنزل القرآنَ الكريمَ عليه ρ، وهو الذي علّمَه بيانَه، بعدَ أن طمأنه اطمئناناً لا مزيدَ عليه بأن لا ينسى ρ من آياته شيئًا، فقال سبحانه:[سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى][الأعلى:6].

قال الشيخ الخطيب في تفسير الآية الكريمة:" وعدَ نبيَّه بأن سيُقرئه ما يحتاجُ إليه البشر من أنواع الهداية، ملمِعًا إلى أنّ هداية الحيوان طبيعيّة، وهداية الإنسان نوعان: طبيعيّة ودراسيّة بواسطة الأنبياء، لما له من الرّوح والعقل والإدراك، فقال:[سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى]، أي: سنقرِئُك ونطلعك على ذلك بحيثُ لا تنساه، أي: محفوظ من النّسيان، وهو على حدِّ قولِهم: سأكسوكَ فلا تعرى، فهو وعدٌ من الله سبحانه لرسوله ρ بهدايتِه لتلقّي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين، وبتوفيقِه لهداية النّاس حتى يكونوا مؤمنين، وفيه إيماء إلى أنّ في ذلك إتقانًا وتسديدًا كما في سائر أعماله تعالى، وفيه إيذان بأنّ القرآن محفوظٌ مضبوط ليس فيه نقصٌ ولا تبديلٌ، كما أنزله ربُّ العالمين"، (1435هـ، 8/ 211).

ويمكنُ لنا أن نبيّنَ أنواعَ تفسير القرآن الكريم بالسنّة عندَ الشّيخ الخطيب من ثلاث جهات في المطالب الثلاثة الآتية:

2-4: من حيثُ الجهةُ المباشرةُ التي صدرَ عنها تفسير القران الكريم بالسنّة:

وهي من هذه الجهة نوعان رئيسيّان:

النّوع الأوّل: تفسير النبيّ ρ للقرآن الكريم بنفسِه ρ:

وإليك مثالين على ذلك:

المثال الأوّل:

ثبت في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر τ، يقول: سمعتُ رسولَ الله ρ وهو على المنبر، يقول:«[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ][الأنفال:60]، ألا إنّ القوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إنَّ القوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إنّ القوَّة الرَّميُ»، (لا.ت، 3/ 1522). وهذا تفسيرٌ للفظةٍ قرآنيّة بالسنّة النبويّة الشريفة.

وقد جاءتِ الكلمةُ القرآنية:[قُوَّةٍ] معجزةً بكلِّ حروفِها، فإنّ المرادَ بالقوّة أسبابُها، وهي كلّ ما يكونُ به القوّة، ولـمّا كانت أسبابُ القوَّةِ -وهي أسلحة الحرب، وآلات القتال- تختلفُ باختلافِ العصور، جاءتِ الكلمة على هذه المرونة الفائقة، التي جعلتْها صالحةً لكلِّ زمان ومكان، (أبو شهبة، لا.ت، ص51).

قال الشيخ الخطيب في تفسير الآية الكريمة:" هذه الآية توجبُ على المسلمين أن يكونوا في مقدّمة صنّاع العدَد الحربيَّة، كلّما تجدَّد نوعُها فكان مستطاعًا للبشر، لأنّ الجهادَ فرضٌ من فرائض الإسلام، وأنّ الاستعداد له والتمرّن عليه من لوازم هذه الفريضة"، (1435هـ، 4/ 44، 45).

المثال الثّاني:

تفسير النبيّ ρ المغضوب عليهم: باليهود، والضالّين: بالنّصارى، في قوله سبحانه:[غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ][الفاتحة:7]، فقد أخرج الترمذيّ عن عَديّ بن حاتم τ قال: قال رسولُ الله ρ:« إنَّ المغضوبَ عليهم اليهودُ، وإنَّ الضالِّين النَّصارى»، (1395هـ، 5/ 202).

قال ابن أبي حاتم في تفسيره بعدَ ذلك:" لا أعلمُ بينَ المفسِّرينَ في هذا الحرفِ اختلافًا"، (1419هـ، 1/ 31)، ولا يخفى أنّ المقصود بالآية الكريمة العموم في كلّ من شابه اليهود والنّصارى في أخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم وتصرُّفاتهم، ولذا فسّرها الشيخ الخطيب بالمعنى العامّ، ففسَّرَ المغضوب عليهم بمن عرفوا الحقَّ وأعرضوا عنه كفرًا وجحودًا، وفسّر الضالّين بمن لم يُحاولوا معرفة الحقّ، فلم يهتدوا إليه، (1435هـ، 2/ 17).

النّوع الثّاني : تفسير القرآن الكريم بأحاديث النبيّ ρ:

وهو أن يأتيَ مَن بعدَ النبيّ ρ مِن أهل العلم وأرباب النُّهى، فيفسّر آياتِ الكتاب العزيز بما ثبتَ عن النبيّ ρ من أحاديثَ صحيحة أو حسنة، ابتداءً من عصر الصّحابة ψ، ومن جاء من بعدِهم من التّابعين، وهذا ما يطلقُ عليه اصطلاحًا اسم **التّفسير بالمأثور**.

ومعنى **التّفسير بالمأثور**: التّفسير بالمنقول، سواء أكان متواترًا أم غيرَ متواتر، وعلى هذا: يشملُ المنقولَ عن اللهِ تبارك وتعالى في القرآن الكريم والمنقولَ عن النبيّ ρ، والمنقولَ عن الصّحابة ψ، والمنقولَ عن التّابعين رحمهم الله، وعلى هذه الأنواع الأربعة يدورُ التّفسير بالمأثور، (أبو شهبة، لا.ت، ص43).

ولا يخفى: أنّ النَّوعَ الأوّل -**تفسير القرآن بالقرآن**- خارجٌ عن موضوع بحثِنا ههنا، وله أمثلةٌ كثيرة، وقد تولّى دراسته بشكلٍ واسع وشامل الشيخُ **الشّنقيطيّ** في كتابه الـــشهيـــــر: **أضـواء الـبيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** و**الشيخ عبد الكريم بن يونس الخطيب** في كتابه**: التّفسير القرآنيّ للقرآن**.

وأمّا **تفسير القرآن الكريم بما ثبت عن النبيّ ρ في سنّته فهو المقصود هنا،** وإليك مثالين عليه:

المثال الأوّل:

تفسير ضربِ النّساءِ المأمورِ به في حقّ النّاشز منهنَّ بقولِه تعالى:[وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ **وَاضْرِبُوهُنَّ** فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً][النّساء:34] بأنّه ضربٌ غيرُ مبرّح بما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله τ قال: إنّ رسولَ الله ρ خطب الناسَ، وقال: « ... فاتّقوا اللهَ في النِّساءِ، فإنَّكم أخذتمُوهنَّ بأمانِ الله، واستحللتُم فروجهنّ بكلمةِ الله، ولكم عليهنّ أنْ لا يُوطئنَ فرشَكم أحدًا تكرهونه، فإنْ فعلنَ ذلك **فاضربوهنَّ ضربًا غيرَ مبرِّح،** ولهنَّ عليكم رزقُهنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروف»، (لا.ت، 2/ 886).

قال الشيخ الخطيب في تفسير الآية:" فلكلّ صنفٍ من النّساء ما يكفي في ردعه، فهناك صنفٌ من النّساء لا يؤثّر فيه الوعظ، ولا يكترثُ بالهجر، فأبيحَ للرّجالِ نوعٌ من التّأديب المادّيّ لا يُلجأ إليه إلّا عندَ الضّرورة، وهو الضّرب غيرُ المبرّح لترجعَ إلى صوابِها، وجاء في الحديث: أن يكونَ هذا الضّربُ غيرَ مبرّحٍ، بمعنى: غير مؤذٍ ولا شائن، وهذه المراتب تكون على التدرّج، ولا يكونُ الضّربُ إلّا آخرَ المراتب، وذلك إذا لم يُفِدها الوعظُ ولا الهجر، (1435هـ، 4/ 54).

وقال ابنُ عطيّة في تفسير الآية السّالفة:" والضَّربُ في هذه الآية هو ضربُ الأدبِ غيرُ المبرِّح، وهو الذي لا يكسرُ عظمًا، ولا يشينُ جارحةً، (1422هـ، 2/ 48).

المثال الثّاني:

تفسير قولِه تعالى:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين)[آل عمران:85]، إذ فسَّرها الشيخ الخطيب بالحديث النّبويّ في مسند أحمد، فقال:" وقد جاءَ عنه ρ:« لو كان موسى حيًّا بينَ أظهركم ما حلَّ له إلّا أن يتّبعني»، (1421هـ، 22/ 468)، ثم قال:" فالدّين الإسلاميّ يعدُّ الدّين السّماويّ بجملته دينًا واحدًا، جاء في أزمان متفاوتة وأطوار متعدّدة، والدين الإسلاميّ هو الطّور الأخير والنّهائيّ من أطوار هذا الدّين الواحد، فهو يصدّقُ ما تقدَّمه ويهيمنُ عليه"، (1435هـ، 3/ 504).

وممّا يدخل في تفسير القرآن بالسنّة أيضًا **تفسير القرآن بالأحاديث القدسيّة**، إذ هي مندرجةٌ تحتَ السنّة أيضًا، ومن أمثلة ذلك تفسير الشيخ الخطيب لقوله تعالى:(فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[السجدة:17] بالحديث القدُسيّ في الصّحيحين عن أبي هريرة τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ρ:« قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ»، (البخاريّ، 1422ه، 4/ 118، ومسلم، لا.ت، 4/ 2174).

قال الشيخ الخطيب:" أي: لا يعلَمُ أحدٌ عظيمَ ما خبّئ لهم ممّا تقرُّ أعينُهم به، وهذا أبلغُ عبارة في تفخيمِ ذلك الجزاء)، ثمّ ساق الحديث سابق الذكر،(1435هـ، 6/ 36).

3-4 : من حيثُ أنواعُ التّفسير النّبويّ وأنماطُه وأشكالُه:

ثبتَ عن النبيّ ρ أحاديثُ كثيرة فيها تفسيرٌ لألفاظٍ قرآنيّة، أو إيضاحٌ لإشكالٍ ما ورد في آيةٍ قرآنيّة، أو ما شابه ذلك، ولذا فلم يكن تفسيرُ النبيّ ρ للقرآن الكريم -من هذه الجهة- ذا شكلٍ واحد، أو على نمطٍ معيَّن، بلِ اتّخذَ أشكالًا متعدّدة، وأنماطًا مختلفة، وإليك ذكرَ أبرز أنواع تفسير النبيّ ρ للقرآنِ الكريم من هذه الجهة:

1. بيانُ المجمل وتفصيلُه:

وحدّ البيان: إظهارُ المعنى وإيضاحُه للمخاطب مفصّلًا ممّا يلتبسُ به، ويشتبهُ من أجله، وأمّا المجمَل فهو: اللفظ الذي لا يدلّ بصيغتِه على المراد منه، ولا توجد قرائن لفظيّة أو حاليّة تبيّنه، فسبب الخفاء فيه لفظيّ لا عارض، (ابن الفرّاء، 1410هـ، 1/ 100، 142).

وذلك مثل: بيان الرّسول ρ لمواقيت الصّلاة، وعددها، وعدد ركعاتها، وكيفيّتها، ففي صحيح البخاريّ عن مالك بن الحويرث ρ قال: قال لنا رسول الله ρ:« صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي»، (1422هـ، 1/ 128).

وكذلك بيانه ρ مناسكَ الحجّ، ففي صحيح مسلم عن جابر τ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ρ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ:« لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»، (لا.ت، 2/ 493).

قال الشيخ الخطيب بعدَ كلام مسهبٍ عن القرآن الكريم:" وتلك سنّة القرآن، حيثُ يذكرُ إقامةَ الصّلاة مثلاً والخشوعَ فيها، وذكرَ الله تعالى ودعاءَه فيها، ولا يذكرُ كيفيَّة القيام والرّكوع والسّجود، وإنّما يتركُ ذلك لبيان النبيّ ρ لها بالعمل"، ثمّ ذكر رحمه الله الحديثين السّابقين، (1435هـ، 2/ 299).

2. توضيح المشكِل:

وحدّ التوضيح قريبٌ من حدّ البيان، وأمّا المشكل: فهو اللفظ الذي لا يدلّ بصيغته على المراد منه، بل لا بدَّ من قرينةٍ خارجيَّة تبيّن ما يراد منه، وهذه القرينة في متناول البحث، (الحنفيّ، لا.ت، 1/ 52).

وذلك مثل: توضيح النبيّ ρ الصّلاة الوسطى -وهي من المشكل- بصلاة العصر، ففي الصحيحين عن عليٍّ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ρ يَوْمَ الْأَحْزَابِ:« شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا»، (البخاريّ، 1422هـ، 4/ 43، ومسلم، لا.ت، 1/ 437).

قال الشيخ الخطيب مرجّحًا هذا القول على غيره بالدّليل السابق:" وللعلماء في الصّلاة الوسطى أقوال، أصحُّها أنّها صلاة العصر، لحديثِ عليّ τ:« شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ»، (1435هـ، 2/ 345).

3. تخصيص العامّ:

وحدّ التّخصيص: هو إخراجُ بعضِ ما تناوله الخطابُ عنه، وذلك مـمّا لا يمكن حمله على ظاهره على كلِّ مذهب، وأمّا العامّ: فهو اللفظُ الذي يدلُّ بحسب وضعِه اللغويّ على شموله، واستغراقه لجميع الأفراد، التي يصدقُ عليها معناه من غيرِ حصرٍ في كميَّةٍ معينةٍ منها، (الآمديّ، لا.ت، 2/ 281).

وذلك مثل: قوله تعالى:(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ)[النور:2]، إذ هو عامٌّ في كلّ زانٍ وزانية، نسألُ الله تعالى العافية، ولكنّ السنّة خصّصت هذا اللفظ العامّ، فأخرجت الزّاني المحصن، وأثبتتْ له حدّ الرّجم، ففي صحيح مسلم عن أبي سَعِيدٍ τ، قَالَ:« لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ρ بِرَجْمِ ماعِزِ بْنِ مَالِكٍ، خَرَجْنَا بِهِ إِلَى الْبَقِيعِ، فوَاللَّهِ، ما أَوْثَقْنَاهُ، وَلَا حَفَرْنَا لَهُ، وَلَكِنَّهُ قامَ لَنَا»، (لا.ت، 3/ 1320).

قال الشيخ الخطيب:" هذا حكمُ القرآن في الزّانية والزّاني، ولكنّ النبيَّ ρ أمرَ برجم المحصن منهما، فقد أمرَ برجم ماعز الأسلميّ والغامديَّة لاعترافها بالزّنى وهما مُحصَنان، ولكنَّه أرجأ المرأةَ حتى وضعتْ وأرضعتْ وفطمتْ ولدَها"، (1435هـ، 5/ 300).

4. تقييد المطْلَق:

وحدّ التّقييد: هو ما دلَّ على فردٍ مقيَّدٍ لفظا بأيِّ قيد، وأمّا المطْلَق: فهو ما دلّ على فردٍ غيرِ مقيَّد لفظًا بأيِّ قيدٍ، (خلّاف، لا.ت، ص181).

وذلك مثل: تقييد وصيّة المتوفىَّ المطلقَة المأمور بها بقوله تعالى:[كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ][البقرة:180]، وذلك في حدود الثّلث.

ففي الصّحيحين عن سعد بن أبي وقاص τ، قال: جاء النبيُّ ρ يعودُني وأنا بمكّة، وهو يكرهُ أن يموتَ بالأرض التي هاجر منها، قال:« يرحمُ اللهُ ابنَ عفراء»، قلتُ: يا رسول الله، أوصي بمالي كلِّه؟ قال:« لا»، قلتُ: فالشَّطر، قال:« لا» ، قلتُ: الثُّلث، قال:« فالثُّلث، والثُّلثُ كثير، إنَّك أن تدعْ ورثتَك أغنياءَ خيرٌ من أن تدعَهم عالةً يتكفّفون النّاسَ في أيديهم»، (البخاريّ، 1422هـ، 4/ 3، ومسلم، لا.ت، 3/ 1250).

قال الشيخ الخطيب:" وقد حدَّدَ النبيُّ ρ الوصيَّة الجائزة بالثّلث، وقال:« والثّلثُ كثير»"، (1435هـ، 3/ 26).

5.تأكيد ما جاء في القرآن:

وحدّ التأكيد أو التّوكيد واضحٌ، وهو كلمةٌ تدلُّ على شدٍّ وإحكام، ويقولون: وكَد وكْدَه، إذا أمَّه وعني به، (القزوينيّ، 1399هـ، 1/ 126، 6/ 138).

وذلك مثل: قوله تعالى:(وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ)[الإسراء:33]، وقد ثبت تأكيدُ هذا الحكمُ في حديث الصّحيحين عن عبدِ اللَّهِ بن مسعودٍ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ:« لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»، (البخاريّ، 1422هـ، 9/ 5، ومسلم، لا.ت، 3/ 1302).

قال الشيخ الخطيب:" استثنى منه قولَه:(إلَّا بالحَقِّ) أي: بارتكابِ ما يُبيحُ الدَّمَ، كالبغي والعدوان، وبما ثبت عنه ρ:« لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلم إلَّا بإِحْدَى ثَلاَثٍ: كفرٌ بعدَ إيمان، وزنىً بعدَ إحصان، وَقتلُ نفسٍ بغيرِ نفسٍ»"، (1435هـ، 4/ 536).

6. ذكْرُ أحكامٍ زائدةٍ على ما جاءَ في القرآن الكريم:

وذلك مثل ما ورد في تعداد المحرّمات في قوله تعالى:(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم)[المائدة:3].

وجاءت السنّة بالزيادة على ذلك بذكر محرّمات أخرى، ففي الصّحيحين عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ τ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ρ عن كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وعن كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ»، (البخاريّ، 1422هـ، 7/ 96، ومسلم، لا.ت، 3/ 1534).

قال الشيخ الخطيب:" فأمّا البحرُ فكلُّ حيواناتِه يؤكلُ، وأمّا البرُّ فقد جاء الحديثُ بالنَّهي عن أن يؤكلَ من حيواناته كلُّ ذِي نَابٍ من السِّباعِ، وكُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وما عدا ذلك من حيواناته فهو من الطيّبات سوى الحشرات"، (1435هـ، 3/ 181).

4-4: من حيثُ قائلُه، ومن نُسبَ إليه:

وهو -من هذه الجهة- ينقسمُ إلى ثلاثة أنواع:

النّوع الأوّل: تفسيرُ النّبيّ ρ للقرآن الكريم:

وقد سبق الحديثُ عنه موسّعًا في الجهتين السّابقتين:

النّوع الثّاني: تفسيرُ الصّحابة ψ للقرآن الكريم:

ولا يخفى لدى أهل العلم أهميّةُ أقوالِ الصّحابة ψ في ميزان أهل الحقّ، ولذا فإنّ أهل التّفسير إن لم يجدوا في القرآن الكريم، ولا في السنّة والأحاديث عن النبيّ ρ رجعوا في ذلك إلى ما صحَّ وثبتَ عن الصّحابة ψ، فإنَّهم أدرى منّا بتفسير القرآن الكريم، فقد بيَّنَ لهم النبيُّ ρ كثيراً من معانيَ القرآن، وشرحَ لهم مجملَه، وأزال مشكِلَه، بالإضافة إلى أنّهم أهلُ اللسان العربيّ المبين، إذ لم تختلط عربيّتهم بالعجمة كما هي الحال في القرون التي جاءتْ من بعدهم.

ثمّ إنّهم أعلمُ بتفسيرِ القرآن منّا، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي أحاطتْ بنـزول القرآن الكريم، ولما لهم من الفهم التامّ، والعلم الصّحيح، والعمل الصّالح، والقلب المستضيء، والعقل الذكيّ، ولا سيّما كبراؤهم، وعلماؤهم كالخلفاء الأربعة الرّاشدين المهديّين، وعبدِ الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وأمثالهم ψ، (أبو شهبة، لا.ت، ص52).

وقال عبد الله بن مسعود τ:« مَن كان منكم متأسّيًا فليتأسَّ بأصحاب النبيّ ρ، إنّهم كانوا أبرَّ هذه الأمّة قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، وأقومَها هديًا، وأحسنَها أخلاقًا، اختارهم اللهُ عزّ وجلّ لصحبة نبيِّه ρ، وإقامة دينه فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارِهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم»، (الأصبهانيّ، 1419هـ، 2/ 519).

وقد رويَ عن الصّحابة ψ في التّفسير أقوالٌ كثيرةٌ جدًّا، وهي خاضعةٌ للنّقد والتّمحيص، ففيها الصّحيح والحسَن، والضّعيف والمنكر والموضوع، وفيها ما هو من الإسرائيليّات ونحوها.

ولكن.. بعدَ الثّبوت والصّحّة فإنّ العلماء اختلفوا في الأخذ بأقوال الصّحابة ψ في التّفسير على النحو الآتي:

القول الأوّل:

إنّ أقوالَ الصّحابة ψ في التّفسير لها حكمُ المرفوع إلى النبيّ ρ، وقد قال بهذا القول جمهورُ أهل العلم، ومن أبرزهم الحاكم في كتاب: المستدرك، حيثُ يقول:" ليعلمْ طالبُ هذا العلم أنَّ تفسيرَ الصحابيِّ الذي شهدَ الوحيَ والتنـزيلَ عند الشّيخين - أي: البخاريّ ومسلم- حديثٌ مسندٌ"، (1411هـ، 2/ 283).

وكذلك هو مذهب كثيرٍ من الفقهاء، إذ أوجبوا الرّجوع إلى تفسير الصّحابة ψ، قال البهوتيّ:" ويلزمُ الرّجوعُ إلى تفسير الصّحابيّ؛ لأنّهم شاهدوا التّنزيل، وحضروا التّأويل، فهو أمارةٌ ظاهرةٌ"، (البهوتيّ، لا.ت، 1/ 434).

وبهذا أخذ الفخر الرّازيّ في تفسيره، (1420هـ، 6/ 426)، وجزم به المحقّقون المعاصرون.

القول الثّاني:

إنّ أقوالَ الصّحابة ψ في التّفسير ليس لها حكمُ المرفوع إلى النبيّ ρ، وقد قال بهذا أبو الخطّاب من كبار علماء الحنابلة، إذ يحتمل ألّا يرجع إليه، إذا قلنا: إنّ قوله ليس بحجّة، (القاسميّ، 1418، 1/ 7).

القول الثّالث:

إنّ أقوالَ الصّحابة ψ في التّفسير يستفصَل فيها، ويخصَّص القبولُ بما فيه سببُ نزول آيةٍ أو نحوه ممّا يعلمُ بالنّقل والرّواية، ولا دخلَ للرّأي فيه، وأمّا ما يتعلّق باللغةِ والأحكام الاجتهادية، فليس من قبيل المرفوع، وقد قال بهذا القول المحقّقون من أهل العلم، ومن أبرزهم: ابن الصّلاح، والنّوويّ، والشّوكانيّ، والقاسميّ، والشّنقيطيّ، بل قال به الحاكمُ نفسُه في معرفة علوم الحديث، وهو الذي سار عليه الشيخ الخطيب في تفسيره.

قال ابنُ الصّلاح:" ما قيل: من أنّ تفسير الصحابيّ حديثٌ مسند، فإنّما ذلك في تفسيرٍ يتعلَّقُ بسبب نزول آيةٍ يخبرُ به الصّحابيّ أو نحو ذلك"، (1397ه، ص50).

وقال النّوويّ:" وأمّا قول من قال: تفسيرُ الصحابيّ مرفوعٌ فذاك في تفسيرٍ يتعلّقُ بسبب نزول آيةٍ أو نحوه"، (1405هـ، ص34).

وقال الشّوكانيُّ:" فإن قلتَ: هل يجوز الاقتداءُ بأحدٍ من الصحابة قال في تفسير شيء من هذه الفواتح قولا صحَّ إسناده إليه؟ قلتُ: لا، إلّا أن يُعلم أنّه قال ذلك عن علمٍ أخذه عن رسول الله ρ"، (1414هـ، 1/ 38).

وقال القاسميّ:" ينظرُ في تفسير الصحابي، فإن فسَّره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان، فلا شكَّ في اعتمادِه، أو بما شاهده من الأسباب والقرائن، فلا شكَّ فيه، وإن تعارضتْ أقوال جماعةٍ من الصّحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذَّر قدّم ابن عباس τ، (1418هـ، 1/ 10).

وقال الشّنقيطيّ:" والمقرَّرُ في علوم الحديث أنَّ تفسير الصحابيّ τ الذي لـه تعلّـقٌ بسببِ النـزول له حكمُ الرَّفع كما عقدَه صاحب «طلعة الأنوار»، بقوله:

تفسير صاحبٍ له تعلُّقُ بالسببِ الرَّفعُ له محقَّقُ"، (1415ه، 1/ 92).

وقال الحاكمُ في المعرفة بعدَ ذكر حديثٍ:" وأشباه هذا من الموقوفات تعدُّ في تفسير الصّحابة، فأمّا ما نقول في تفسير الصحابيّ مسندٌ، فإنّما نقولُه في غير هذا النّوع. ثمّ قال: هذا الحديث وأشباهُه مسندةٌ عن آخرها، وليست بموقوفةٍ، فإنّ الصحابيَّ الذي شهدَ الوحيَ والتنزيل فأخبر عن آيةٍ من القرآن أنّها نزلتْ في كذا وكذا، فإنّه حديثٌ مسندٌ"، (1397هـ، ص19).

وأمّا الشّيخ الخطيب فقد عضّد تفسيره بكثيرٍ من أقوال الصّحابة ψ لأهميّتها وعظيم منزلتِها، وهو غالبًا مع أصحاب القول الثّالث، (1435هـ، المقدمة، ص145).

وبعدَ عرض هذه الأقوال يتبيّن لنا: أنّ تفسير الصّحابيّ له حكمُ المرفوع، إذا كان ممّا يرجعُ إلى أسباب النزول، وكلّ ما ليس للرأي فيه مجال، وأنّ ما حُكِمَ عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز ردّه اتفاقًا، وأنّ ما حُكِمَ عليه بالوقف فهو محلّ خلافٍ بين العلماء، والرّاجح القَبول.

وإليك الآن مثالين على تفسير الصّحابة ψ للقرآن الكريم:

المثال الأوّل: ثبتَ في الحديث في صحيح البخاريّ عن البرَاء τ قال:« لَمَّا نَزَلَ صَومُ رَمَضانَ كانُوا لا يَقرَبُونَ النِّساءَ رَمَضانَ كُلَّهُ، وكانَ رِجالٌ يَخُونُونَ أَنفُسَهُم». فَأَنْزَلَ اللَّهُ:(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ)[البقرة: 187]، (1422ه، 6/ 25).

قال الشيخ الخطيب عازيًا الكلام إلى البخاريّ:" قال البخاريّ: « لَمَّا نَزَلَ صَومُ شهر رَمَضانَ كانُوا لا يَقرَبُونَ النِّساءَ رَمَضانَ كُلَّهُ، فبيَّن اللهُ لهم الحكمَ»"، (1435هـ، 2/ 273).

المثال الثّاني: في الصّحيحين تفسير أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما أشكلَ على ابن أختِها عروة بن الزّبير τ، فعن هشام ابن عروة، عن أبيه، أنّه قال: قلتُ لعائشة رضي الله عنها زوج النبيّ ρ وأنا يومئذٍ حديثُ السنّ:« أرأيتِ قول الله تبارك وتعالى:[إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ **فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**][البقرة:158]، فلا أرى على أحدٍ شيئًا أن لا يطوَّف بهما، فقالت عائشة: كلا، لو كانتْ كما تقول: كانتْ: **فلا جناح عليه أن لا يطوَّفَ بهما**، إنّما أنزلتْ هذه الآية في الأنصار كانوا يُهلُّون لمناة، وكانت مناةُ حذوَ قديد، وكانوا يتحرَّجون أن يطَّوَّفوا بين الصّفا والمروة، فلمّا جاء الإسلام سألوا رسول الله ρ عن ذلك، فأنزل الله تعالى:[إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ].. الآية»، (البخاريّ، 1422هـ، 6/ 3، ومسلم، لا.ت، 2/ 928).

وقد ذكر الشيخ الخطيب قولَ عائشة رضي الله عنه السّابق من دون نسبةٍ لأحد، فقال:" كان على الصّفا والمروة صنمان للمشركين، وكانوا إذا طافوا بهما مسحوهما، فتحرّجَ المسلمون عن الطّوافِ بهما، وكانوا يرون أنّ الطّوافَ بهما من مبتدعاتِ

الجاهليّة، فأنزل الله هذه الآية مبيّنًا أنّه من شعائر الله وأعلام مناسكه، فمَن حجَّ أو اعتمَرَ وجب عليه السّعيُ بينهما"، (1435هـ، 2/ 224).

وبذلك نعلم أهمّيّة نقل أقوال الصّحابة ψ في تفسير القرآن الكريم، وبهذا ندرك عظم اعتناء الشّيخ الخطيب بتفسير القرآن الكريم بالسنّة، واشتمال تفسيره الفذّ على أنواع مهمَّة من هذا التّفسير.

وكذلك نعلم منهج الشّيخ الخطيب في تفسير القرآن بالسنّة، وطريقتَه في الاستدلال بالحديث النّبويّ الشريف، ولكنّه جانبَ الصّواب أحيانًا عندما اعتمدَ في تفسيره لبعض الآيات القرآنيّة على بعض الأحاديث الضعيفة المتروكة، أو الواهية المشكوكة.

وأمّا تفسير التّابعين للقرآن الكريم فقد ضربتُ صفحًا عنه أخذًا بقول الجمهور.

5 خاتمة: خلاصة بأهمّ ما تحقّق في هذا البحث:

بعد هذه الجولة الطيّبة في منهج الشيخ رشيد الخطيب في تفسيرِ القرآن بالسنّة وأنواعه يمكن لنا أن نسجّل أهمّ ما تحقّق من نتائج في هذا البحث على النّحو الآتي:

1. إن الشّيخ رشيد الخطيب هو: رشيد بن صالح بن طه بن صالح الخطيب الطّائيّ الموصليّ.
2. إنّ الشّيخ الخطيب ولد سنة:(1303ه)، وتوفي سنة:(1400ه).
3. تتلمذ الشّيخ الخطيب على يد علماء عصره، وأجيز من لدن علّامة عصره العلّامة محمَّد الرّضوانيّ، وهو تلميذ والده الشّيخ صالح الخطيب.

وهذا ما تمّت دراستُه في تمهيد هذا البحث.

4. تعريف منهج تفسير القرآن بالسنّة اصطلاحًا بأنّه: **خطَّةٌ منظَّمة لعدّة عمليَّاتٍ ذهنيَّة أو حسّيَّة بغيةَ الوصول إلى إيضاحُ ألفاظِ القرآن، وبيانُ معانيه بما ثبتَ عن النَّبيّ ρ في الحديث الشّريف من أقوالِه وأفعالِه وتقريراتِه وصفاتِه، أو بأقوال الصحابة ψ.**
5. إنّ تفسير القرآن بالسنّة يأتي في الأهمّيّة بالمرتبة الثانية مباشرة من بعد تفسير القرآن بالقرآن.
6. لا ينبغي -بعد حرصنا على هذا النوع من التّفسير- أن نغفُل عن ضرورة التّحقّق من صحّة الحديث أو حسنِه على أقلّ تقدير، فنقبل الصّحيح والحسن، ونطرح الضعيفَ والموضوع.
7. إنّ النبيَّ ρ فسّرَ للصّحابة ψ من القرآن الكريم كلّ ما تمسّ إليه حاجتُهم، علمًا أنّهم لم يكونوا بحاجة إلى أن يسألوه ρ عن كلّ شيءٍ فيه، إذ هم أصحاب البلاغة والفصاحة، وهم الذين عاصروا النبيَّ ρ وعايشوه في حلّه وترحاله.

وهذا ما تمّت دراستُه في المبحث الأوّل.

8. يمكنُ أن نبيّن أنواع تفسير القرآن بالسنّة من عدّة جهات: درستُ كلَّ جهةٍ في مطلب، وتتّضحُ هذه الجهات في النّقطة التّالية.
9. إنّ الشَّيخ رشيد الخطيب كان على اتّصالٍ وثيقٍ بالسنّة النبويّة في تفسيره هذا، يبرزُ هذا الاتّصال من خلال أنواع تفسير القرآن بالسنّة في المطالب الآتية:

أ. المطلب الأوّل: من حيثُ الجهةُ المباشرة التي صدرَ عنها التّفسير، وهي نوعان رئيسيّان:

تفسير النبيّ ρ للقرآن بنفسه، وضربتُ على ذلك مثالين، وتفسير القرآن بأحاديث النبيّ ρ، وضربتُ على ذلك مثالين أيضًا.

ب. المطلب الثاني: من حيثُ أنواع التّفسير النبويّ، وهي أنواع رئيسيّة تشمل: بيان المجمَل وتفصيله، وتوضيح المشكل، وتخصيص العامّ، وتقييد المطلَق، وتأكيد ما جاء في القرآن، ونحوها.

ج. المطلب الثالث: من حيثُ قائله ومن نُسبَ إليه، وهي نوعان رئيسيّان على الأشهر:

النّوع الأوّل: تفسير النبيّ ρ للقرآن الكريم:

النّوع الثاني: تفسير الصّحابة ψ للقرآن الكريم، وضربتُ على ذلك مثالين اثنين.

وضربتُ صفحًا عن ذكر تفسير التّابعين للقرآن الكريم أخذًا بقول الجمهور.

وهذا ما تمّت دراستُه في المبحث الثّاني.

وجاءتْ هذه الخاتمة لتبيّن أهمَّ ما تحقّقَ في هذا البحث بحمد الله تعالى.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله ربّ العالمين.

6 -فهرس المصادر والمراجع:

1. **ابن أبي حاتم**: أبو محمّد عبد الرحمن، (ت327هـ): **تفسير القرآن العظيم**: تح أسعد محمد الطيب: مكتبة نزار مصطفى الباز بالسعودية، ط3، سنة 1419ه.
2. **ابن الفرّاء**: أبو يعلى محمّد، (ت458هـ): **العدّة في أصول الفقه**: تح د.أحمد المباركيّ: الرياض، ط2، 1410ه.
3. **ابن تيميّة**: أبو العبّاس أحمد، (ت728هـ): **درء تعارض العقل والنّقل**: تح د. محمّد رشاد سالم: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، ط2، سنة 1411هـ
4. **ابن تيميّة**: أبو العبّاس أحمد، (ت728هـ): **مجموع الفتاوى**: تح عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة النبوية، سنة 1416هـ
5. **ابن عطيّة**: أبو محمّد عبد الحقّ، (ت542هـ): **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: تح عبد السلام عبد الشافي محمّد: دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، سنة 1422هـ
6. **أبو داود**: سليمان، (ت275هـ): **سنن أبي داود**: تح محمّد محيي الدّين عبد الحميد: المكتبة العصرية بصيدا وبيروت، (لا.ت).
7. **أبو شُهبة**: محمّد، (ت1403هـ): **الإسرائيليّات والموضوعات في كتب التّفسير**: طبع مكتبة السنّة، ط4، (لا.ت).
8. **أحمد**: أبو عبد الله أحمد، (ت241هـ): **مسند أحمد**: تح شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د عبد الله التركيّ: مؤسسة الرسالة ببيروت، ط1، سنة 1421هـ
9. **الأصبهانيّ**: أبو القاسم إسماعيل، (ت535هـ): **الحجّة في بيان المحجّة**: تح محمد بن ربيع المدخليّ: دار الراية بالرياض، ط2، سنة 1419هـ
10. **الآمديّ**: أبو الحسن عليّ، (ت631هـ): **الإحكام في أصول الأحكام**: تح عبد الرزاق عفيفيّ: المكتب الإسلاميّ، (لا.ت).
11. **باجمعان**: د.محمّد باجمعان: **السنّة النبويّة المصدر الثاني للتشريع ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل**: طبع السعودية، (لا.ت).
12. **البخاريّ الحنفيّ**: علاء الدّين عبد العزيز، (ت730هـ): **كشف الأسرار**: دار الكتاب الإسلاميّ، (لا.ت).
13. **البخاريّ**: أبو عبد الله محمّد، (ت256هـ): **صحيح البخاريّ**: تح محمّد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة، ط1، سنة 1422هـ
14. **البزّار**: أبو بكر أحمد، (ت292هـ): **مسند البزار المنشور باسم: البحر الزخّار**: تح محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنوّرة، ط1، 1988م-2009م.
15. **البهوتيّ**: منصور، (ت1051هـ): **كشّاف القِناع عن متن الإقناع**: دار الكتب العلميّة، (لا.ت).
16. **البيهقيّ**: أبو بكر، (ت458هـ): **شُعَب الإيمان**: تح د. عبد العليّ عبد الحميد حامد: مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بالهند، ط1، سنة 1423هـ
17. **الترمذيّ**: أبو عيسى محمّد، (ت279هـ): **سنن التّرمذيّ**: تح أحمد محمّد شاكر، وآخرين: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ بمصر، ط2، سنة 1395هـ
18. **الجرجانيّ**: عليّ، (ت816هـ): **التّعريفات**: تح جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، سنة 1403ه.
19. **الجصّاص**: أبو بكر أحمد، (ت370هـ): **أحكام القرآن**: تح صادق القمحاويّ: دار إحياء التراث ببيروت، 1405 هـ
20. **الحاكم**: أبو عبد الله محمّد، (ت405هـ): **المستدرك على الصّحيحين**: تح مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 1411هـ
21. **الحاكم**: أبو عبد الله محمّد، (ت405هـ): **معرفة علوم الحديث**: تح السيد معظم حسين: دار الكتب العلمية ببيروت، سنة 1397هـ
22. **حمّاش**: د.خالد: **منهج العلّامة المفسّر الشيخ رشيد الخطيب الموصليّ**: طبع ضمن "تفسير القرآن العظيم المسمّى أولى ما قيل في آيات التّنزيل": باعتناء مجد أحمد مكي: أروقة، ط1، سنة1435هـ
23. **الخطيب الموصليّ**: الشّيخ رشيد، (ت1400هـ): **تفسير القرآن العظيم المسمّى أولى ما قيل في آيات التّنزيل**: طبع باعتناء مجد مكي: أروقة، ط1، سنة1435هـ
24. **الخطيب**: الشيخ عبد الكريم، (ت1406هـ): **التّفسير القرآنيّ للقرآن**: دار الفكر العربيّ بالقاهرة، (لا.ت).
25. **خلّاف**: الأستاذ عبد الوهّاب، (ت1375هـ): **علم أصول الفقه**: دار القلم، ط8، (لا.ت).
26. **الدّينوريّ**: أبو محمّد عبد الله، (ت276هـ): **تأويل مختلف الحديث**: المكتب الاسلاميّ، ط2، سنة 1419هـ
27. **الذهبيّ**: د. محمّد حسين الذهبيّ، (ت1398هـ): **التّفسير والمفسرون**: مكتبة وهبة بالقاهرة، (لا.ت).
28. **الرازيّ**: أبو عبد الله محمّد، (ت606هـ): **التّفسير الكبير= مفاتيح الغيب**: دار إحياء التراث العربيّ ببيروت، ط3، سنة1420 هـ
29. **السّمعانيّ**: أبو المظفر منصور، (ت489هـ): **تفسير القرآن**: تح ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم: دار الوطن بالرياض، ط1، سنة 1418ه.
30. **الشنقيطيّ**: محمّد الأمين، (ت1393هـ): **أضواء البيان**: دار الفكر للطباعة والنشر ببيروت، سنة 1415هـ
31. **الشوكانيّ**: محمّد، (ت1250هـ): **فتح القدير**: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط1، سنة 1414هـ
32. **الطبريّ**: أبو جعفر محمّد، (ت310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: تح د.عبد الله التركيّ: دار هجر: ط1، سنة 1422هـ

33. **العثيمين**: الشيخ محمّد، (ت1421هـ): **أصول في التفسير**: المكتبة الإسلامية، ط1، سنة 1422ه.
34. **عمر**: د.أحمد، (ت1424هـ): **معجم اللغة العربيّة المعاصرة**: عالم الكتب، ط1، سنة 1429ه.
35. **القاسميّ**: محمّد، (ت1332هـ): **محاسن التأويل**: تح محمّد باسل عيون السود: دار الكتب العلميّة ببيروت، ط1، سنة 1418هـ
36. **القزوينيّ**: أبو الحُسين أحمد، (ت395هـ): **معجم مقاييس اللغة**: تح عبد السّلام هارون: دار الفكر، 1399هـ
37. **مالك**: الإمام مالك، (ت179هـ): **الموطّأ**: تح محمد مصطفى الأعظميّ: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية بأبو ظبي، ط1، سنة 1425هـ
38. **المرْوزيّ**: أبو عبد الرّحمن عبد الله بن المبارك المرْوزيّ، (ت181هـ): **الزهد والرقائق**: تح حبيب الرحمن الأعظميّ: دار الكتب العلمية ببيروت، (لا.ت).
39. **مسلم**: أبو الحسين مسلم القشيريّ، (ت261هـ): **صحيح مسلم**: تح محمّد عبد الباقي: دار إحياء التراث ببيروت، (لا.ت).
40. **النوويّ**: أبو زكريا يحيى، (ت676هـ): **التّقريب والتّيسير**: تح محمّد عثمان الخشت: دار الكتاب العربيّ ببيروت، ط1، سنة 1405 هـ

موقع على الشبكة العنكبوتيّة الإنترنت:

1. http://www.islamicfinder.org/dateConversion.php?mode=hij-.

The approach of the late in the interpretation of the Qoran in the Sunnah of the Prophet: Sheikh Rashid Khatib Al-Musli model

Mohammed Ibrahim Fadhel Mashhadani
College of Imam Azam University
mhmd7272@gmail.com

Abstract

Praise be to Allah and prayers and peace be upon our prophet Muhammad, his family, all his companions and those who followed them until the Day of Judgment. Having said this, the Glorious Quran is worthy of the utmost attention by interpreting it since it is Allah's speech. This could be done by interpreting it by the Sunnah of the prophet and clarifying it by the sayings of the worthy ancestors. In recent ages, Allah has endowed us with great scholars including the sheik of our sheikhs Rashid Al-Khatib Al-Mawsilli (may Allah have mercy on him). In this study, attention is tried to be drawn to the interpretation done by this sublime sheikh as this interpretation is known only by few people. The study consists of an introduction, a preamble, two sections and the conclusion. The introduction included the biography of Al-Sheikh Al-Khatib: Al-Sheikh Al-Khatib's biography is written in seven points. Section one consists of three subsections: explaining the important definitions, showing the importance of interpreting the Quran by the Sunnah and how many Quranic ayahs were interpreted by the prophet (peace be upon him). Section two is of three subsections: explaining the types of interpreting the Quran by the Sunnah from three perspectives as viewed by Al-Sheikh Al-Khatib; each perspective is tackled in a subsection. As for the conclusion, it talks about what have been done in this study. Finally, I ask Allah success and to be guided by the prophet (peace be upon him).

Keywords: approach , interpretation , Quran , Sunnah of the Prophet.

پڕۆگرامی ڕاڤەکەرانی پاشیین لە ڕاڤەکردنی قورئان بە سوننەتی پێغەمبەر: ماموّستا (رشيد الخطيب المَوْصِلِيّ) بەنموونە

محمّد إبراهيم فاضل المشهدانيّ
کۆلێژی ئیمام ئەعزەمی زانکۆی لە مۆسل
mhmd7272@gmail.com

پوختە

سوپاس و ستایش بۆ خوای جیهانیان. درووود و سڵاو بۆ سەر گیانی سەرداری پێغەمبەران موحەممەد و ئال و هاوەڵانی.

قورئانی پیرۆز شایەنی هەموو گرینگیپێدانێك و خزمەتکردنێکە، لەوانەش خزمەتکردنی بەدیارخستنی ماناکانی و دەرخستنی نهێنی تەرکیبە و بینای وشەکانی، بەڵکو شایەنی لەوەش زیاترە، بەوەی قورئان وتەی خوای باڵادەستە.. لەو خزمەتانەش ڕاڤەکردنی قورئانە بە سوننەتی پێغەمبەر و بەدیارکردنی ڕێنمونیەکانی لە وتەی پێشینی ئەمر ئوممەتە لە چەرخە چاکەکاندا.

خوای گەورە لەمر چەرخانەی دووایشدا، جارێکی تر منەتی کردووە بەسەرماندا، چەندین زانای پایە بەرزی پێ بەخشیوین، کە ژیانیان سەرفکردووە لە فێربوون و فێرکردنی زانستەکاندا، چرای ڕووناککەرەوەی ڕێگای زانست بوون، چەندین نوسراویان بەجێهێشتووە. داواکارین خوای گەورە پاداشتی چاکەیان بداتەوە، یەکێك لەوانەش ماموّستای پایەبەرز و عەللامە (الشّيخ رشيد الخگيب الموصلّ)یە، کە ناوبانگی گشت شوێنەکانی گرتۆتەوە و نوسراوەکانی بەناو ولّاتاندا بڵاوبۆتەوە.. خوای گەورە لێی خۆشبێت و بە بەهەشتی بەرینی شادبکات.

لەمر توێژینەوەمدا هەوڵمداوە سەرنجی توێژەران ڕابکێشم بۆ تەفسیرە ناوەزەکەی، کە کەمێك نەبێت لە زانستخوازان و زانیان پێی ئاشنا نین. توێژینەوەکە، دووای ئەمر کورتەیە، پێکهاتووە لە پێشەکیەك و دوو باس و، کۆتاییەك:

لە پێشەکیدا: باسی ژیاننامەی ماموّستای (الخطيب)مر کردووە، لە حەوت خاڵدا.

باسی یەکەمر لە سێ بابەت پێکهاتووە: چەند پێناسیەکی گرنگ، گرنگیی ڕاڤەکردنی قورئان بە سوننەت و ئەو بڕەی کە پێغەمبەر صلى الله عليه وسلم تەفسیری قورئانی کردووە.

باسی دووەمیش لە سێ بابەت پێکهاتووە: جۆرەکانی ڕاڤەکردنی قورئان بە سوننەت لای ماموّستا ڕەشید لە سێ ڕووەوە، هەر ڕووەی لە بابەتێکدا: لایەنی ئەو سەرچاوەیەی کە لێوەی هاتووە، لایەنی جۆرەکانی تەفسیر و شێوازەکانی و لایەنی ئەوانەی کە وتوویانە.

کۆتاییش بریتیە لە کورتە و گرنگترین ئەنجامەکانی توێژینەوەکە.

لە کۆتایشدا داواکارم لە خوای گەورە ڕاستیمان نیشاندات و بمانکاتە شوێنکەوتەی ڕاستەقینەی پێغەمبەر صلى الله عليه وسلم .

وشە کلیلە کان: رافە ی قورئان، سوونە ت (فە رموودە)، جورە کانی سوونە ت (فە رموودە)، شیخ خگیب.